



هدم قبور أئمة البقيع عليه السلام تجاسر على حرمة الرسول ﷺ

أ عليه السلام

كتب: سماحة حجّة الإسلام والمسلمين العلامة الشيخ حسين الفدائي، وهو أحد أعضاء لجنة الاستفتاء في مكتب سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي، بقم المقدّسة وأحد تلامذته في بحوث الخارج الاستدلالية منذ أكثر من عشرين عاماً.

كيف تخلفوني فيهما، ولا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم» وتجاسر على المقدّسات والقيم، والعلم والفضيلة، والأخلاق والإنسانية، وعلى كل الأحرار والأبرار، بل على كان الناس والبشر أجمعين.

ff L*

وهذا التجاسر البيديء مازال باقياً ومستمرّاً مادام البقيع على حاله موحشاً، وقبر أئمة أهل البيت عليه السلام فيه مهدمّة، ولا يزول هذا الوهن ولا يعالج إلا بزوال آثاره المنجعة، وبقيامه المؤلمة، وذلك بإعادة بناء المراقد الشريفة والقباب المنيعة وتشديد الأضرحة الكريمة والمآذن الشامخة، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بالعمل على نحو العامّ المجموعي لا العام الاستغراقي حيث إن كلّ فرد من أفراد العام الاستغراقي مستقلّ عن الفرد الآخر بحيث لا أثر لوجوده وعدمه بالنسبة إلى الآخرين، بينما العام المجموعي ليس كذلك، لأنّ لكل فرد من أفراده العلية في تحقّق العام المجموعي، بحيث لو فقد فرد واحد من أفراده لم يتحقّق ذلك العام المجموعي، فالألف أو المليون مثلاً لكل فرد من أفراده كامل المدخلة في تحقّق الألف والمليون، فلو فقد فرد واحد منه لم يكن الباقي ألفاً أو مليوناً، وهذا أمر واضح، ومسألة معالجة هذه الفاجعة المؤلمة ورفع هذا التجاسر البيديء المتطاوّل على الله والرسول، والاسلام والقرآن، والقيم والأخلاق، لا بد وأن يكون من جميع المسلمين بل من جميع الناس الأحرار على نحو العام المجموعي، يعني: العلاج يحتاج إلى تضافر جهود الجميع وتضامن نشاطات الكل: في إبداء الآراء المطالبة بالتعمير، وإنجاز المساعي الحميدة لإعادة البناء؛ وكل واحد حسب قدرته وطاقته، وإدراكه وإمكاناته، ولا يعتذر بأنه واحد والواحد لا أثر له في قبيل الألاف. إذ الوحدات تجتمع فتشكّل جيشاً عارماً، كما أن القطرات تجتمع فتصبح سيلاً كاسحاً وجارفاً، وإلا كان الجميع مقصراً ومسؤولاً.

من شهر شوال المكرّم لعام ألف وأربعمائة وخمس وعشرين هجرية؛ وهو يوم تجديد الذكرى الأليمة لفاجعة هدم قبور أئمة البقيع عليه السلام، وكان دأب العلماء والمراجع في العراق تعظيم الحوزة العلمية، وتعطيل الدروس الدينية، حداداً على آل الرسول وما جرى من ظلم في حقهم أقرح قلب جدّهم الرسول الكريم وأوجع فؤاده في أهل بيته وذريته، واشتغلاً بإحياء ذكرى أبناء رسول الله، وتديداً بظالمهم والمعتدين المتطاولين على هدم قبورهم الكريمة ومراقدهم الطاهرة، وأمّا دأب العلماء والمراجع في إيران فهو مستمر على الاستمرار على الدرس والتعريح فيه على مظالم أهل البيت والانتصار لهم والتشجيع باعدائهم والمتجاوزين على أضرحتهم وقبايهم، المنتهكين حرمة الله ورسوله فيهم، ولقد سار من السيد الاستاذ (المرجع) دام ظله الوارف إلا أن بسيرة الحوزة والعلماء في إيران وحاذروهم، ولذلك بدأ بحث هذا اليوم بعد البسملة والحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطاهرين بما يلي:

ff L*

هذا اليوم وهو يوم الثامن من شهر شوال المكرّم يصادف يوم هدم قبور أئمة البقيع عليه السلام وذلك قبل أحد وثمانين عاماً، وهذا التجاسر السافر والتجري الصريح على هدم قبور أئمة أربعة من أبناء رسول الله ﷺ وأهل بيته المعصومين عليه السلام هو في الواقع تجاسر على الله تعالى الذي أمر بمودّة أهل البيت عليه السلام وطاعتهم وإكرامهم، وتجاسر على القرآن الحكيم الذي صدع بقول الله سبحانه في الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»، وتجاسر على الإسلام العظيم الذي عظّم أمر أهل البيت وجعلهم امتداداً للرسول الأمين، وتجاسر على الرسول الكريم الذي جعل أهل بيته المعصومين عدل القرآن الحكيم، كما في حديث الثقلين المتواتر عند المسلمين جميعاً خاصة وعامة، بقوله ﷺ: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا

تقدم البحث في الحلقة الماضية وهي الحلقة السادسة عشرة من حلقات بحث خارج (الخمسة)، وكان في الفداء المأخوذ من أسرى الحرب لقاء إطلاق سراحهم، وخرجنا منه بنتيجة الانتصار لما ذهب إليه المشهور: من القول بأن الفداء من الغنيمة بالمعنى الأخص وفيه أيضاً خمس الغنيمة بالمعنى الأخص، ووعدنا مواصلة البحث في حلقات قادمة بإذن الله تعالى؛ وقد حان وقت الوفاء والحمد لله فتقول حامدين شاكرين مايلي:

(مصادفة الحلقة الدراسية لذكرى تهديم البقيع) اتفقت الحلقة السابعة عشرة من حلقات بحث خارج الخمس مع الذكريات الأليمة، والمصائب العظيمة التي مازالت بعد رحيل الرسول الكريم تترى على أهل بيته الطيبين الطاهرين، فمنذ أن غمّض رسول الله ﷺ عينيه مودعاً للدينا وأذناً أهلها بالرحيل، تظافرت جهود الأبالسة وشياطين الإنس والجن على إعفاء آثار الرسول الكريم وإقصاء أهل بيته الطاهرين عن المناصب السماوية التي عينها الوحي لهم وعرفها الرسول الكريم بإصرار وتكرار للناس والتاريخ، وذلك بدءاً من إقصاء علي أمير المؤمنين عليه السلام عن حقه، ومصادرة فداء نحلة رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإسقاط جنينها الذي كان قد سمّاه رسول الله ﷺ محسنًا، ثم اغتيال علي أمير المؤمنين عليه السلام في محراب عبادته، وبعدها قتل ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه الأكبر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، ثم قتل سبطه الأصغر سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام في فاجعة كربلاء، وبعدها قتل الأئمة من ذرية الرسول الكريم: الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق إلى الإمام الحادي عشر الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وانتهاء بهدم قبور أئمة البقيع، ثم هدم قبور أئمة سامراء.

ff L*

نعم لقد صادف درس الحلقة السابعة عشرة في بحث الخارج من مباحث الخمسة: يوم الاحد، الثامن

وهذا القرآن الحكيم يذكرنا بقصة أصحاب السبت من بني إسرائيل الذين تجاسروا على أحكام الله تعالى وتهاونوا بأوامر نبيهم الكريم، وراحوا يعملون في صيد السمك يوم السبت ولم يتخذوه - كما أمر الله به - يوم عطلة وتعميم، فلم يقف جميع الباقين من بني إسرائيل موقفاً واحداً على نحو العامّ المجموعي تجاههم، إذ لو وقفوا جميعاً موقفاً واحداً لأثر وأنتج، بل تغافلوا وتخالفوا فيما بينهم، وافترقوا اتجاههم إلى فرقتين، فرقة أخذت تستنكر عليهم وتذكرهم بخطئهم، وفرقة اتخذت موقف الحياد منهم، بل راحت تعترض على المذكّرين لهم، كما حكاها الله تعالى عنهم بقوله سبحانه: «وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهُمْ هُلُكُهُمْ أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ». فالهدف من التذكير أمران: العذر عند الله تعالى، والتأثير في العاصين بالإقلاع عن عصيانهم، ولقد تحقّق الأمر الأول فأصبح المذكّرون معذورين ولم يمسه غضب الله وعذابه، لكنّ الأمر الثاني لم يتحقّق لعدم القيام بالتذكير على نحو العامّ المجموعي بالنسبة للباقيين من بني إسرائيل، فاستمرّت العصاة على عصيانهم والمحايدون على سكوتهم، حتى استأصلهم جميعاً عذاب الله تعالى ونكاله.

لقد تكرّر الموقف المتخاذل لبني إسرائيل بالنسبة إلى أصحاب السبت، من المسلمین بعد رحيل الرسول الكريم بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث تجرّأ البعض على التجاسر على أحكام الله، والتهاون بأوامر النبي الكريم، وراحوا يعملون على إقصاء علي أمير المؤمنين عن منصبه السماوي الذي عينّه الله تعالى له ونفّذ الرسول الأمين فيه، فلم يقف المسلمون من أولئك البعض موقفاً واحداً على نحو العامّ المجموعي، بل تغافلوا وتخاذلوا، فتمّ الإقصاء لعلي أمير المؤمنين عليه السلام وصيّروه جليس الدار طيلة خمس وعشرين سنة، وصودر حقه وحق ابنة رسول الله السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في فدك، وجرى من الظلم ماجرى في حقهم، ولم يؤثّر تذكير المذكّرين من أمثال سلمان وأبي ذر، وعمّار والمقداد فيهم، حتى إذا قُتل عثمان واستيقظ المسلمون من غفلتهم، واجتمعوا على نحو العامّ المجموعي على بيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، ولو كان هذا الموقف قد اتخذه المسلمون بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله لما صار من هو أهل لهذا المنصب العظيم جليس الدار، ولما وقع من الظلم ما وقع، ولا استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

عبر هذه الاعوام الطويلة من إصلاح الأمور، وتهذيب النفوس، وتحقيق العدل، وإفشاء القسط، وتعميم السلم والسلام، ومحو الظلم والظلام من يومه ذلك إلى يوم القيامة، فالتجاسر البغيض من البعض، والتخاذل المهين من البعض الآخر، وعدم اتخاذ الجميع موقفاً واحداً على نحو العامّ المجموعي سبّب كل هذا الظلم والظلام، والشقاء والفساد، والفقر والجهل، والعنف والإرهاب الموجود حتى يومنا هذا. وهكذا بالنسبة إلى سائر الأئمة المعصومين من الإمام المجتبي حتى الإمام المهدي عليه السلام.

لقد وقف موقف المطالب بنهاية هذا التجاسر البغيض تجاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والاسلام والقرآن، وطالب بإعادة بناء قبور أئمة البقيع الكثير من العلماء الاعلام، والسادة الكرام، والشخصيات الدينية والاجتماعية ومن جملتهم الأخ الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي رحمته الله، وذلك قبل أكثر من أربعين عاماً، حيث بدأ حملة واسعة النطاق في المطالبة ببناء البقيع، وكرّس كل جهوده وعباً جميع طاقاته من أجل ذلك، واتصل بالشخصيات العلمية والدينية، والاجتماعية والسياسية من العراق وإيران، ومن الهند وباكستان، ومن الخليج نفسه والحجاز، وجعلهم في مجرى الأحداث، وأهبة الاستعداد لصنع الرأي العام والأجواء المناسبة، ولكن لم يصل سماحته إلى النتيجة المتوخّاة، ولم يحصل على الأهداف المنشودة من وراء هذه الحملة المكثفة من العمل والوسعة من حيث المواقف، لأنه بالتالي كان فرداً وان كان في نفسه أمة، فذلك غير العامّ المجموعي الذي إذا حدث استطاع التغيير والتحويل، وتمكّن من التأثير والتبديل.

بقاء البقيع الغرقد موحشاً، والمرائد الشريفة مهذّمة، منكر من أشد المنكرات، وهو بمرأى من المسلمين جميعاً ومسمع، ولا بدّ من يوم وهو في الطريق، وساعة صفر هي على الأعتاب، يزول فيه هذا المنكر ويفسل عاره وشناره، فهنيئاً لأمة ناشطة وقوم غياري يستطيعون صنع العامّ المجموعي واتخاذ الموقف الموحد، للقيام برفع هذا المنكر ودفعه، وسدّ هذا الصدع وردمه، كيف لا والدنيا برمتها في طريقها إلى الانفتاح، والبلاد على وسعتها وتبعثرها في سيرها نحو القرية الصغيرة الواحدة، فلنكن نحن تلك الأمة التي تستطيع إنجاز ذلك، حتى ننال وسام المودة لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله

بعزّ وافتخار إن شاء الله تعالى، وذلك بأداء كل فرد مسلم وظيفته في المطالبة، واتخاذ الموقف الحاسم، والقرار اللازم بحسب موقعه واقضاء علمه وشغله، سفراً وحضراً، حجاً وعمرة، دائماً وأبداً في طريق إنجاز هذه المهمة الإنسانية العليا، وما ذلك اليوم ببعيد بإذن الله تعالى.

هذا ولا يخفى أنّ الكلام هذا كان قيل الاعتداء الأثيم الذي طاول مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء، وقد زاد ذلك في مسؤوليّة الجميع.

نعود إلى مسألتنا الشرعية السابقة، فإنّ هذا البحث الشرعي وأمثاله هو أيضاً في طريق صنع العامّ المجموعي للوقوف إلى جانب أهل البيت عليهم السلام والالتفاف بهم - كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله - لتكون من المهديين بذلك لظهور الإمام المهدي عليه السلام وإقامة حكمته الحكيمة والعادلة، فننال بذلك خير الدنيا ونفوز بنعيم الآخرة إن شاء الله تعالى.

كانت مسألتنا: مسألة الفداء وأنها من الغنيمة بالمعنى الأخصّ وفيها خمس الغنيمة بالمعنى الأخصّ، وذلك كما قال به المشهور وارتضيها، ولكن لو شك الفقيه في هذه المسألة ولم يخرج من مجموع الأخبار والأقوال بنتيجة - كما تردّد صاحب الجواهر فيها على ما ظهر من كلامه في الحلقة السابقة، وتردّد في المستمسك على ما مرّ من تفصيله وتامله هناك في كون الفداء قبل الغلبة من الغنيمة بالمعنى الأخصّ - فما هو الحلّ؟ إن كان هنا أصل موضوعيّ يتّفق لنا موضوع الفداء بأنه من الغنيمة بالمعنى الأعمّ ليكون إخراج خمسه موسعاً متراخياً، أو الأخصّ ليكون إخراج خمسه مضيقاً وفورياً. كان هو المحكّم، ولكن حيث لم يكن هنا أصل موضوعيّ، فلا بدّ من الرجوع فيه إلى الأصل الحكمي، وهو: البراءة من الضيق والفورية إلا ما خرج بدليل خاصّ، والظاهر أنّ المسألة من الموارد التي خرجت عن هذا الأصل العامّ بدليل خاصّ هو: عموم وإطلاق «ما أفاد الناس من قليل وكثير» و«هي والله الإفادة يوماً بيوم» وإن الخياط ليخيط الثوب بخمسة دوانق: لنا منه دائق وعمومات وإطلاقات أخرى ظاهرة في فورية الخمس وهي تشمل الفداء أيضاً، فعند الشكّ في كون وجوب الخمس في الفداء فورياً أو متراخياً مع وجود ما يدلّ على الفورية، يكون الأصل الفورية وعدم التراخي. وإلى حلقة قادمة إن شاء الله تعالى.

